حكايات عن شهداء الجسر ..وشهامة ابناء الأعظمية

يـــوم المأساة ... يـــوم للوحدة الوطنية

بغداد/اياد عطية الخالدي

لنتذكر دائماً بطولة الشهيد عثمان علي عبد الحافظ.. المنقذ الشهم

أربعة أيام مضت على مأساة جسر الأئمة.. لكن آثارها وتداعياتها لم تنته بعد ٩٦٥ شهيداً و٤٢٥ جريحاً هي آخر إحصائية ذكرتها وزارة الصحة على لسان جليل الشمري الوكيل الإداري في الوزارة..

ومع اختلاف الروايات حول الأسباب التي أدت إلى هذه الفاجعة، تبدو رواية وجود أشخاص اندسوا بين حشود الزائرين الذين قدر عددهم باربعة ملايين زائر جاءوا من مختلف أنحاء العراق لإحياء ذكرى وفاة الإمام موسى بن جعفر المعروف بالإمام الكاظم، (عليه السلام) هي الرواية الأقرب لواقع تسلسل الأحداث.

بدأت الماساة حينما أطلق عدد من الأشخاص المندسين شائعة بوجود إرهابيين بين حشود الزائرين، في وقت كان الجسر يحتشد بمئات الآلاف من الزائرين يشقون طريقهم للوصول إلى مرقد الإمام الكاظم بصعوبة في جو رطب وصلت فيه درجة الحرارة إلى أكثر من أربعين درجة.

انتشرت الشائعة كالنار في الهشيم بين الجموع.. فاندفع الجميع بحثاً عن ملاذ أو ميتة أخرى بديلاً عن الموت المفخخ.. فألقى المئات بأنفسهم في نهر دجلة وقضى آخرون نحبهم خنقاً أو دهساً بسبب التدافع. بعد أن ضاقت أمامهم سبل النجاة، وانحسار منافذ الخروج فكانت النتيجة مأساة إنسانية اهتزت لها ضمائر الشرفاء في العراق والعالم، وغطى الحزن والألم قلوب العراقيين.

الإشاعة المميتة وسيلة أخرى ابتكرها الإرهابيون للإمعان في قتل العراقيين، ومحاولة منهم للنيل من وحدتهم واستدراجهم إلى حرب طائفية.

غير إن أهالي الأعظمية خيبوا ظن المجرمين والقتلة والإرهابيين وأكدوا لهؤلاء القتلة أن وحدة العراقيين أقوى من كل محاولاتهم.

من جامع الإمام أبي حنيفة النعمان انطلق عبر مكبرات الصوت نداء استغاثة إلى أهالي الأعظمية للتوجه إلى مكان الحادث وتقديم كل أنواع العون والمساعدة لإنقاذ الزائرين وضحايا مأساة الجسر.

كان سكان منطقتي الحارة والشيوخ هم الأقرب إلى مكان الحادث، فهرعوا مسرعين لإنقاذ الزائرين وتقديم العون والإسعاف إلى الضحايا.

تحولت بيوت أهالي هاتين المنطقتين إلى صالات طوارئ لإسعاف الناجين وتقديم المساعدة لهم.. "كلنا عراقيون كلنا مسلمون، حزننا حزنهم وألمنا ألمهم"، تقول أم ليث.. وتضيف: "لقد اندفع أولادنا وبناتنا إلى شواطئ النهر يتفقدون وينقذون من سقط فيه ويحملون النساء والأطفال والرجال.. وتضيف: "أشد ما آلمني تلك الطفلة التي انقذها أبناؤنا وكانت تصرخ فقامت بناتنا بإرضاعها".

أصحاب المحال أفرغوا محالهم من المياه المعدنية وقاموا بتوزيعها على الزائرين، والذين تيبست شفاههم بفعل العطش والتدافع نظراً لارتفاع درجات الحرارة.

خالد عدنان "٣٧" سنة يقول: أنا رياضي وأعرف عمليات التنفس الاصطناعي، فكنا نحاول أن ننقذ الجميع خاصة أولئك الذين اختنقوا.. وبالفعل انقذنا الكثير، وكان يمكن ان ننقذ آخرين لولا أن سيارات الإسعاف تأخرت. وتابع خالد: هذه حالة لم تمر علينا، لقد ارتبكنا حتى إننا لم نستطع أن نميز بين الموتى والأحياء.

كنعان قحطان حول سيارته إلى إسعاف كان الأكثر انقاذاً للضحايا من بين جيرانه الذين شاركوه هذه المهمة وهما موفق "أبو مهند" وعصام عبد الغفور..

يقول عصام: لقد تأخر وصول سيارات الإسعاف فقمنا بمهمة نقل الضحايا إلى مستشفى النعمان ومستشفى مدينة الطب.

ومن قصص الإيثار والتضحية تبقى قصة الشهيد عثمان علي عبد الحافظ ذي التسعة عشر ربيعاً الاكثر دلالة وتعبيراً عن قوة نلاحم وتعاضد العراقيين.

عثمان الطالب في الصف الخامس في اعدادية صناعة الاعظمية الذي اصبح شهيد الوحدة الوطنية كما يحلو لابناء منطقته وابناء وذوي الضحايا ان يطلقوا عليه.. هرع لإنقاذ ضحايا الجسر بعد سماعه نداء من مسجد الأمام أبي حنيفة النعمان، وانضم إلى اصدقائه من ابناء منطقتي الحساره والشيوخ.

انقذ عثمان ستة أشخاص بين رجل وطفل وامرأة قبل ان يفشل في إنقاذ امرأة ضخمة الجثة، وبسبب ثقلها وامساكها معاً، ولأنه مجهد غرقا سوياً، شهيدين وضحيتين من ضحايا الإرهاب.

عثمان الرياضي السباح واللاعب المصارع في نادي الاعظمية تحول إلى شهيد للوحدة الوطنية إذ أفشل وأهالي الاعظمية ما خطط له الإرهابيون والقتلة والمجرمون باشعال الفتنة الطائفية بين العراقيين.

عثمان هو الولد الوحيد لعائلة السيد علي عبد الحافظ العبيدي إلى جانب شقيقتين هما هند الطالبة في المرحلة الرابعة في كلية المأمون الجامعة، وشهد علي . خمس سنوات. يستذكر والده علي عبد الحافظ اللحظات الأخيرة لعثمان قائلاً: كان منهمكاً في القراءة لأنه مكمل في أحد الدروس ويستعد للامتحان لكنه نجح في أكبر امتحان في الإنسانية والإسلام والشجاعة والوطنية.

ويضيف والد الشهيد عثمان وهو يكفكف الدموع.. انا أحبه، وطالما افتخرت بشجاعته، والآن افتخر به أكثر.

يرمي الوالد بنظرة إلى صورة الشهيد عثمان لافتة في واجهة الدار ويتمتم شهيد.. شهيد.

يرفع نظره ويوجه كلامه للصحفيين.. ولدي شهيد، واشعر بالفخر، لقد قام بعمل بطولي من اجل العراقيين، ولهذا انتم هنا.

مصطفى سمير ابن عم عثمان ورفيق عمره يبدو متأثراً بعد ان فقد ابن عمه وأقرب انسان له كما يصفه يقول:

في (المسناية) على شاطئ دجلة كنا نقضي أجمل اوقاتنا هناك، عثمان مصارع وسباح ماهر معروف بشهامته ووفائه لابناء المحلة، ويضيف كان في بيتنا إلى ساعة متأخرة قبل يوم الحادث، تحدثنا عن أشياء كثيرة، عن احلامنا عن آمالنا، عن ذكرياتنا، ولم نكن نعلم ان الموت كان غير بعيد عن حساباتنا.

جيران عائلة الشهيد عثمان كانوا متأثرين لفقدانهم الشهيد.

وصف سعد فوزي احد جيرانه عائلة الشهيد بالعائلة الطيبة والمحبوبة في المنطقة واعتبر استشهاد عثمان صدمة للجميع وقال: كان رحمه الله محبوباً ومتعاوناً ولا يتأخر عن تقديم المساعدة لابناء الجيران ولهذا نشعر بالحزن والألم لفقدانه.

كان الشهيد محبوباً لدى عائلته وأصدقائه وخصوصاً غيث عادل من أهالي منطقة بغداد الجديدة، إذ كان الشهيد يعمل إلى جانبه في فرن للصمون يمتلكه والد صديقه غيث.

يقول غيث: لقد كان الشهيد هو صاحب الفرن لأننا من أهالي منطقة بغداد الجديدة والفرن قريب من داره.. لقد عرفته رحمه الله امیناً وفیاً ومخلصاً في عمله، ولهذا كنا كما الجميع نحبه، ولا أستطيع ان اصف لك مدى حزننا وتأثرنا لفقدانه.

يقول مصطفى ابن عم الشهيد: لم تكن عائلتنا تعرف الطائفية وكان أقرب أصدقاء الشهيد من الأخوة الشيعة وخصوصاً أقرب اصدقائه غيث عادل.

في قطعة ارض تبرع بها السيد مقتدى الصدر

الشهـــداء يرقـــدون بسلام في وادي الســـلام

النجف (اف ب)

ووري معظم ضحايا كارثة جسر الائمة في مدفن تبرع به مقتدى الصدر في مقبرة النجف ، وما زالت هناك جثث اخرى في طريقها الى هذه المقبرة القريبة من ضريح الامام علي بن ابي طالب (ع).

ولم يسبق لمقبرة "وادي السلام" ان شهدت هذا العدد الكبير من الجنازات حيث عمل حفارو القبور جاهدين لتجهيز المثوى الاخير لمئات الشهداء الذين قضوا في التدافع الدامي الاربعاء على جسر الائمة في بغداد.

وقدر المسؤولون العدد بنحو ٩٦٥ في اكبر خسارة في الارواح يشهدها العراق في حادث واحد منذ اذار ٢٠٠٣,

وكان معظم الشهداء من النساء والاطفال والمسنين الذين قضوا تحت الاقدام في التدافع او غرقوا عندما اجتاحت الجموع حالة من الذعر بسبب شائعات بوجود انتحاري بينهم.

وقال حسين شكر الذي يدير احدى مؤسسات دفن الموتى في مدينة النجف "لم يعمل حفارو القبور ابدا بهذا القدر".

من جهته، قال وارد جشعمي الذي يعمل ايضا في هذه المؤسسة "اضطررنا الى جعل الكثيرين ينتظرون".

ومنذ ساعات الصباح الاولى امس الاول الخميس، توالت المواكب الجنائزية في النجف واتبعت جميعها مسارها المعتاد: ضريح الامام علي مع قبته المهيبة بصفائحها الذهبية ثم مقبرة وادي السلام التي لا تبعد عن الضريح اكثر من بضع مئات الامتار.

ويتم ادخال النعوش المحمولة على الاكتاف الى داخل ضريح الامام حيث يطوف حاملوها حول المرقد قبل ان يتوجهوا الى المقبرة وسط نواح النسوة المفجوعات اللواتي يلطمن وبكاء الرجال بصمت والتكبيرات التي تنطلق بين حين واخر.

وخصص تيار الصدر قطعة ارض في المقبرة للضحايا الذين كانوا يقطنون مدينة الصدر، اذ ان عددا كبيرا من الضحايا كانوا من هذا الحي.

وقال مالك السرجاوي الذي كان يشرف على عملية حفر القبور في ارض المقبرة الرملية ممثلا تيار الصدر "انها ماساة لا توصف ونامل نحن الشيعة وقد اعتدنا على الموت، ان تكون هذه آخر المآسي"..

واضاف السرجاوي "لقد تبرع السيد مقتدى الصدر بقطعة الارض هذه للشهداء" مشيرا بيده الى مساحة طولها حوالى ٥٠ مترا وعرضها حوالى ٤٠ متراً، فيما كان متطوعون من جيش المهدي (ميليشيا الصدر)، يقومون بحفر القبور تحت شمس حارقة.

وتكفل تيار الصدر بتكاليف الجنازات.

وخيم الحزن والهدوء على المدينة التي وضعت تحت مراقبة مشددة بسبب المخاوف من تنفيذ اعتداءات فيما وضعت جميع اجهزة التلفزيون في المحلات والفنادق المخصصة للزوار، على قناة الفرات التابعة للمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق.

وكان قد جرى في انحاء مختلفة من العراق امس الاول تشييع العديد من ضحايا حادث التدافع على جسر الائمة خصوصا في مدينة الصدر في بغداد التي اتشحت بالسواد.

وجرح في الحادث ٨١٥ شخصا لا يزال نحو ٢٠٠ منهم يعالجون في المستشفيات، طبقا للمسؤولين.

ونصبت مئات خيم العزاء في شوارع الاحياء الشيعية وسط العاصمة بغداد فيما واصل العديد البحث بين الجثث في المستشفيات عن احبائهم المفقودين.

وقال محمد جعفر "انا ابحث عن ابني بين الجرحى منذ امس، لكنني عثرت للتو على جثته في المشرحة ..".